

آية من كتاب الله عز وجل

«وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ»

الإسلام لا يقاوم  
رغبة المرأة الفطرية  
في التزين ولكن  
ينظمها ويضبطها

أذنهن، فلما أمر الله النساء أن يضرين بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، كن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: «وليضرن بخمرهن على جيوبهن» شققن مروطين فاختصرن بها.. وعن صفية بنت شيبة قالت: «بينما نحن عند عائشة، قالت: فذكرن نساء قريش وفصلن، فقالت عائشة رضي الله عنها إن نساء قريش لفضل.. وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، واشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالأنزِيل، لما نزلت في سورة النور: «وليضرن بخمرهن على جيوبهن» ولعلن رجالهن البهين يتكون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، ويبدو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، فما انتقل امرأة إلا فاعتت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فاصبحن وراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معتجرات كان على رؤوسهن الغربان».

لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وظهر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب، بل الطابع الإنساني المهذب.. وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان، مهما يكن من التناقض والاكتمال. فاما جمال الحشمة فهو الجمال المتكليف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقا بالإنسان، ويضبطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال.

جاءت هذه الآية بعد حث المؤمنين على غض البصر حيث طالبت المؤمنات ألا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة، أو الهاتكة للغيرة، التي تستلير كوامن الفتنة في صدور الرجال ولا يبدين فروجهن إلا في حلال طيب، يلبي داعي الفطرة في جو نظيف، لا يشجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياء «ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها».

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها. فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر، ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله، وتجليته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتطور في الاتجاه بها إلى رجل واحد - هو شريك الحياة - يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواها، ويشترك معه في الإطلاع على بعضها، والحرام والذكورون في الآية بعد، ممن لا يغير شهواتهم ذلك الإطلاع.

فاما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين، فيجوز كشفه، لأن كشف الوجه واليدين مباح لقوله (صلى الله عليه وسلم) لأسماء بنت أبي بكر: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وإشار إلى وجهه وكفيه».

«وليضرن بخمرهن على جيوبهن» والجيب فتحة الصدر في اللب، والخمار غطاء الرأس والنحر الصدر. ليداري مفاتنهن، فلا يعرضها للعيون الجائعة، ولا حتى لتفثرة الفجاءة، التي تبقى المتقون أن يظلوها أو يعاودوها، ولكنها قد تترك كميناً في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة!

إن الله لا يريد أن يعرض القلوب للنجاسة والابتلاء في هذا النوع من البلاء!

والمؤمنات اللواتي تلقين هذا الشيء وقلوبهن مشرقة بنور الله، لم يتمكن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في المعاملة الحديثة! - تمر بين الرجال سفحة بصدورها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأفرطت

لأفعلن لهم صراطك المستقيم لم لايتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شملهم ولا تجد أكثرهم شاكرين». هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفس الحاقدين ويفسد قلوبهم وقد احاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المكر وأن يسلكوا في الحياة نهجا أرقي وأهدا.

عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته عن وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثال حاله الأولى.

فلما قام النبي قام عبدالله بن عمر وتبع الرجل فقال: إني لا حيت أبي قاسمت إلا ادخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي ففعلت! قال: نعم. قال أنس: فكان عبدالله تحدث أنه بات معه تلك الثالث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعارتك في فراشه ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر قال عبدالله:

غير أني لم اسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت أحقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أثث الثلاث

المرات فارتدت أن أوي إليك، فانظروا ما عملك فافتي بك فلم أرك عملت كبير عمل! فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت قال عبدالله فلما وليت دعائي قال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك، وفي رواية: «ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أني لم أبت ضائعا على مسلم».



صاحب الصدر السليم يأسي لآلام العباد ويشتهي لهم العافية  
ولا يتلهى بسرود فضائهم  
نقاء القلب فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة  
ومشاعره مع الناس

فتنظر إلى الأمور من خلال الصالح العام لا من خلال شوائبه الخاصة. وجمهور الحاقدين تقلي مراحل الحد في انفسهم لانهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لانفسهم قد فاتهم وامتلات به أكف أخرى وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قرارا، وقديما رأى إيليس أن الخطوة التي يشتهيها قد ذهبت إلى آدم قائل لا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرمها، «قال فيما اغويته

التشقي من الخلق وانتظار عثراتهم والشامة في آلامهم وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس ذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره وربما تخلف حيث سبق آخرون. ومن الغباء أو من الوضاعة أن تنقوي الأثره بالرء فتجعلته يتمني الخسار لكل إنسان لا شيء إلا لأنه هو لم يربح ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة وأكثر عاطفة

سوودة. وكثيرا ما يكون متعوه العورات لفضحها أنشأ إجراما، وأبعد عن الله قلوبا من أصحاب السيئات المكتشفة فإن التريص بالجريمة لنشرها أقيح من وقوع الجريمة نفسها. وشتان بين شعورين شعور الغيرة على حرمات الله والرغبة في حمايتها وشعور البغضاء لعباد الله والرغبة في إذلالهم إن الشعور الأول قد يصل في صاحبه إلى القعة ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن

لا يجوز لمسلم أن يتشفي بالتشيع على مسلم ولو ذكره بما فيه فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويشتهي لهم العافية. أما التلثي بسرود الفضائح وكشف المستور، وإبداء العورات، فليس مسلك المسلم الحق. ومن لم حرم الإسلام الغيبة، إذ هي متفلس حقد مكتوم وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء. عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أترون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال ذكره أخاك بما يكره قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودات، واتقاء الفرقة تحريم النسيمة لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب وقد كان النبي يتلى أن يبلغ عن أصحابه ما يسوؤه قال: «لا يبلغن أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وعلى من سمع شيئا من ذلك ألا يوسع الخرق على الرابع قرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت! ورب كلمة شر سرعت الحروب إن اتسع ثقلها ونفخ فيها فاصبحت شرارة تشتعل بالويلات والخطوب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» وفي رواية «فَنَمَات». قال العلماء: هما بمعنى واحد، وقيل: النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينبط عنهم والفتات الذي يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينم.

وروي في الحديث: «إن النسيمة والحدق في النار لا يجتمعان في قلب مسلم» ومن لوازم الحدق سوء الظن وتبع العورات والنم والتعريض الناس بعاملاتهم أو خصائصهم البدنية والنفسية وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غلم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة». وقال: «من ستر على مؤمن عورة فأنما أحيا



قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون. وبهذا كان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقُرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا غرو أن هذا العمل الذي قام به عبدالله يعتبر تحدياً عملياً لقريش، التي ما كانت لتتحمل مثل هذا الموقف، ويلاحظ جرأة عبدالله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى.

فلما ملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه لم يملوهم بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضرِبونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد انزوا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشيتك عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتُم لأغادينهم بمثلها،

عبد الله بن مسعود: أتأ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمتعون به أسماهم المقلدة وقلوبهم الخليفة، فكان أول من جهر بالقُرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسعهموه؟ فقال

في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملهم وجهر بالقُرآن، ففرع به أسماهم المقلدة وقلوبهم الخليفة، فكان أول من جهر بالقُرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسعهموه؟ فقال

في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملهم وجهر بالقُرآن، ففرع به أسماهم المقلدة وقلوبهم الخليفة، فكان أول من جهر بالقُرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسعهموه؟ فقال

في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملهم وجهر بالقُرآن، ففرع به أسماهم المقلدة وقلوبهم الخليفة، فكان أول من جهر بالقُرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسعهموه؟ فقال

في مكة، وإبان الدعوة وشدة وطأة قريش عليها، فلقد وقف على ملهم وجهر بالقُرآن، ففرع به أسماهم المقلدة وقلوبهم الخليفة، فكان أول من جهر بالقُرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسعهموه؟ فقال